

أول معركة كبرى هزم فيها الروم

«أجنادين» .. فاصلة في تاريخ الفتح الإسلامي بالشام



كان الصحابي خالد بن سعيد بن العاص، أول قائد عقد له أبو بكر الصديق لواء فتح الشام، وأمره بأن يعسكر بجيشه في تيماء شمالي الحجاز، وأوصاه بعدم البدء في القتال إلا إذا قوتل، وكان الخليفة الحبيب يقصد من وراء ذلك أن يكون جيش خالد عوناً ومدداً عند الضرورة، وأن يكون عينه على تحركات الروم لا أن يكون طليعة لفتح بلاد الشام.

وحدث ما كان منه بدءاً، فقد اشتبك خالد بن سعيد مع الروم التي استنقرت بعض القبائل العربية من بهراء وكتب ولخم وحذاء وغسان لقتال المسلمين، ولم تكن قوات خالد تكفي لقتال الروم، فهزم هزيمة قاسية في مرج الصفر في (4 من المحرم 13 هـ = 11 من مارس 634م) واستشهد ابنه في المعركة، ورجع بمن بقي معه إلى "ذي مروة" ينتظر قرار الخليفة.

أبو بكر الصديق يعقد أربعة ألوية : ولما وصلت أنباء الهزيمة إلى الخليفة أبي بكر الصديق أهمه الأمر، وجمع كبار الصحابة لتبادل الرأي والمشورة، واستقر الرأي على دفع العدوان، ورد الروم الذين قد يغرهم هذا النصر المفاجئ فيهدون أمن الدولة التي بدأت تستعيد أنفاسها بعد قضائها على حروب الردة، وتوالي أنباء النصر الذي تحقق في جبهة العراق.

جهز الخليفة الصديق أربعة جيوش عسكرية، واختار لها أكفأ قوادها، وأكثرهم مرأياً بالحرب وتمرساً بالقتال، وحدد لكل جيش مهمته التي سيقوم بها. أما الجيش الأول فكان تحت قيادة "أبو عبيدة بن الجراح"، ووجهته "حمص" وعدد جيشه 7 آلاف مجاهد - وكان الجيش الثاني بقيادة "زيد بن أبي سفيان"، ووجهته "دمشق"، وعدد جيشه 9 آلاف مجاهد.

- وجعل أبو بكر الصديق قيادة الجيش الثالث لـ "شريحيل بن حسنة"، ووجهته منقلقة "بصرى"، وعدد جيشه 7 آلاف مجاهد - أما الجيش الرابع فكان بقيادة "عمرو بن العاص"، ووجهته "فلسطين"، وعدد جيشه 7 آلاف مجاهد أيضاً ومجموع الجيوش كلها لا يتجاوز الثلاثين ألف وأمرهم أبو بكر الصديق بأن يعاونوا بعضهم بعضاً، وإذا اجتمعوا معاً فليقيادة العامة لأبو عبيدة بن الجراح.

وصية الصديق للقادة : وكان الصديق كلما خرج لتوديع جيش من الجيوش الأربعة يوصي قائده بوصايا جامعة، تبين سلوك الفاتحين المسلمين وأخلاقهم في التعامل مع أهالي البلاد القادمين إليها. واقتطف من وصية الصديق لـ يزيد بن أبي سفيان هذه الكلمات: "وإني موصيك بعشر كلمات فأحفظهن: لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا صبياً صغيراً ولا امرأة، ولا تهدموا بيئاً ولا بيعة، ولا تقطعوا شجراً مثمراً، ولا تعقروا بهيمة إلا لأكل، ولا تحرقوا نخلاً ولا ثغر قوه، ولا تعص، ولا تجبن...". وجاء في وصيته له عمرو بن العاص: ".. اسلك طريق إيلياء حتى تنتهي إلى أرض فلسطين، وإياك أن تكون وانثاً عما نديتك إليه، وإياك والوهن، وإياك أن تقول: جعلني ابن أبي حقافة في نحر العدو ولا قوة لي به، واعلم يا



الاستعانة بخالد بن الوليد

هال الخليفة أبا بكر أن تبقى الأوضاع في الشام دون تحريك، وأن يعجز القادة المجتمعون على تحقيق النصر في أول الجولات بينهم وبين قوات الروم التي لم تكن ضعيفة الجانب لقلية الجند، وإنما كانت تعيش فترة زاهية بعد فوزها على الفرس وعمدة النقة إليها.

وعزم الصديق على بث روح جديدة تعودت الفوز والظفر، ومشى النصر في ركابها كأنه قدرها المحتوم، ولم يكن غير خالد من يمكنه تغيير الأوضاع، وإفراة الهمم، ووضع الخطط التي تأتي بالنصرة، وكان الصديق أكثر الناس ثقة في كفاءة خالد وقدرته العسكرية، فأطلق كلمته السائرة التي رددتها كتب التاريخ: "والله لأنتسب الروم وسواس الشيطان بخالد بن الوليد". وبعث الصديق إلى خالد بأن يقدم إلى الشام ومعه نصف قواته التي كانت معه في العراق، حتى يلتقي بابي عبيدة بن الجراح

ومن معه، ويتسلم القيادة العامة للجيش كلها، وفي الوقت نفسه كتب الصديق إلى أبي عبيدة يخبره بما أقدم عليه، وجاء في كتابه: ".. فإني قد وليت خالدًا قتال الروم بالشام، فلا تخالفه، واسمع له وأطع أمره، فإني قد وليته عليك، وأنا أعلم أنك خير منه، ولكن فلننت أن له فطنة في الحرب ليست لك، أراد الله بنا وبك سبل الرشاد والسلام عليك ورحمة الله".

امتثل خالد بن الوليد لأوامر الخليفة، وخرج من الحيرة بالعراق في (8 من صفر 13 هـ = 14 من أبريل 634م) في تسعة آلاف جندي، فسار شمالاً ثم عرج حتى اجتاح صحراء السماوة في واحدة من أجزأ المغامرات العسكرية في التاريخ، وأعظمها خطراً: حيث قطع أكثر من ألف كيلو متر في ثمانية عشر يوماً في صحراء مهلكة حتى نزل بجيشه أمام الباب الشرقي لدمشق، ثم سار حتى أتى أبا عبيدة بالجابية؛ فالتقيا ومضيا بجيشهما

إلى "بصرى"، تجمعت الجيوش كلها تحت قيادة خالد بن الوليد، وحاصر بصرى حصاراً شديداً واضطرت إلى طلب الصلح ودفع الجزية، فاجابها خالد إلى الصلح وفتحها الله على

اشتعال القتال

وبعد صلاة الفجر من يوم (27 من جمادى الأولى 13 هـ = 30 من يوليو 634م) أمر خالد جنوده بالتقدم حتى يقتربوا من جيش الروم، وأقبل على كل جمع من جيشه يقول لهم: "اتقوا الله عباد الله، قاتلوا في الله من كفر بالله ولا تتكصوا على أعقابكم، ولا تهنوا من عدوكم، ولكن أقدموا كإقدام الأسد وانتم أحرار كرام، فقد أبينتم الدنيا واستوجبتم على الله ثواب الآخرة، ولا يهولكم ما ترون من كفرتهم فإن الله منزل عليهم رجزه وعقابه، ثم قال: أيها الناس إذا أنا حملت فأحملوا".

وكان خالد بن الوليد يرى تأخير القتال حتى يصلوا الظهر وتهب الرياح، وهي الساعة التي كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يحب القتال فيها، ولو أدى ذلك أن يقف مدافعاً حتى تحين تلك



بطولة وفداء



وفي هذه المعركة أبلى المسلمون بلاءً حسناً، وضربوا أروع الأمثلة في طلب الشهادة، وإظهار روح الجهاد والصبر عند اللقاء، وبرز في هذا اليوم من المسلمين "ضرار بن الأزور"، وكان يوماً مشهوداً له، وبلغ جملة ما قتله من فرسان الروم ثلاثين فارساً، وقتلت "أم حكيم" الصحابية الجليلة أربعة من الروم بعمود خيمتها. وبلغ قتلى الروم في هذه المعركة أعداداً هائلة تجاوزت الألاف، واستشهد من المسلمين 450 شهيداً. وبعد أن انتشع غبار المعركة وتحقق النصر، بعث خالد بن الوليد برسالة إلى الخليفة أبي بكر الصديق يبشره



بعد سقوط بصرى استنفر هرقل قواته، وأدرك أن الأمر جد لا هذر فيه، وأن مستقبل الشام بات في خطر ما لم يواجه المسلمين بكل ما يملك من قوة وعتاد، حتى تسلم الشام وتعود طليعة تحت أمرته، فحشد العديد من القوات الضخمة، وبعث بها إلى بصرى حيث شريحيل بن حسنة في قواته المحدودة، وفي الوقت نفسه جهز جيشاً ضخماً، ووجهه إلى أجنادين من جنوب فلسطين، وانضم إليه نصارى العرب والشام. تجمعت الجيوش الإسلامية مرة أخرى عند أجنادين، وهي موضع يبعد عن "بيت جبرين" بحوالي أحد عشر كيلو متراً، وعن الرملة حوالي تسع وثلاثين كيلو متراً، وكانت الملتقى في السهول الشمالية الغربية لقرية دير الدبان والغرب من قريه عجور وحتى قرى تل الصافي وبركوسيا والني تعتبر ملتقى مهما للطريق الروماني القديم يمر من أراضي قرية البريج بمحاذاة وادي الصرار وبالقرب من تل بطاشة الأثري، اكتشفت آثاره من قبل بعثة تنقيب من جامعة نيو أورليانز. ولقد نزل الجيش الروماني من هذه الطريق إلى السهول الغربية للبريج، والأراضي المحيطة بها حتى التلال

الاستعداد لأجنادين

الجنوبية وصولاً إلى تخوم زكريا وعجور وإن أراضي قرية البريج فيها من الشواهد ما يثبت ان المعركة حدثت على ربوعها منها وجود المكان الذي حوى رفات بعض الصحابة الذين استشهدوا في المعركة في موقعين يقعان في الشمال الغربي للبريج، ويعرف الأول باسم الشيخ جنيد نسبة إلى معركة أجنادين، والتي سميت بهذا الاسم ليس لأسم موقع اسمه أجنادين بل لالتقاء جيشين كل منهما يسمى أجناد، ومثاهما أجنادين، والموقع الثاني ضم رفات شهداء المعركة هو أبو البلوطات وكان الموقع يضم قبورا بين شجر البلوط، وكان للموقعين قدسية واحتراما عند أهل قرية البريج، وهناك شعب في تلك المنطقة يسمى شعب السجدة، وهو الموقع الذي سجد فيه قائد جيوش المسلمين خالد بن الوليد بعد انتصار جيوش المسلمين على جيوش الرومان والصليبيين. ووجود خربة عامر في جنوب البريج نسبة إلى الصحابي ابو عبيدة عامر بن الجراح الذي تولى قيادة قلب الجيش ولقد بنى الصحابة مسجداً واسعاً في البريج وقريبا من مكان المعركة ومكان دفن الشهداء وعرف بالمسجد العمري.